من طرائف الشعر

غرام الشعراء

الغيرة

للشاعر الوجدانى الاستاذ احمد رامى

من رواية ينظمها بهذا العنوان فى هذا الموضوع

« فى دار الولادة بنت المستكفى بقرطبة . الشاعر أبو الوليد احمد بن زيدون يزور الدار أول مرة فى صحبة صديقه أبى حفص بن برد . بعد التعارف والتفاهم تحتفل الولادة بقدوم ابن زيدون فتدعو القيان . بعد الرقص والعزف يقبل الوزير ابن عبدوس فى رفقة نديمه خليفة لزيارة الولادة جريا على عادته »

ابن عبدوس : وقد سمع آخر الغناء مخاطبا خليفة

مطبل وزامر فمن يكون الزائر ؟

خليفة : أحسبها توقعت حضورنا نسامر

وهذه تحيةٌ ترسلها المزاهر

أدخل فقد طاب الهوى بما يحب الخاطر

ابن عبدوس : (وقد اجتاز الباب ورأى ابن زيدون)

من أرى ؟

الولادة : (متقدمة اليه)

هذا ابن زيدون

ابن عبدوس : وما لى أراه شارد اللب حزين !

قد عرفناه طروباً ينثنى

مرحاً عند سماع العازفين

ابن زيدون : (فى لهجة حازمة)

وأرانى ربما أحزننى

من صدى الاوتار شدوٌ أو رنين

ابن عبدوس : (فى شىء من السخرية)

هذه حال الذى أودى به

لاعج الأشواق أو مسُّ الجنون

ابن زيدون : نعم أهوى ولا أخفى غرامى

ومن شرف الهوى أنى صريح

وأما ان سئلت من اصطفتنى

سكتّ فما استرحت وما أريح

ابن عبدوس : ومن لك أن تقول صفا هواها

وقلب الغانيات مدى فسيح

ابن زيدون : وغرّك من عهد ولاّدة

سراب تراءى وبرق ومض

أراك تفوّق سهم النضال

وترسلها لو أصبت الغرض !

ولاّدة : وما هذا التراشق بالأحاجى

وما هذا التوثب للهجوم ؟

أرى عينيكما رمتا شرارا

وأخشى النار ترعى فى الهشيم !

(بعد صمت)

ألم يجمعكما سبب متين

على حفظ المودة والأخاء ؟

ابن زيدون : وألّفنا على الاخلاص عرشاً

نفدّيه ونخلص فى الفداء

ابن عبدوس : وهل أخلصت للعرش المفدى

وقمت على الرعاية والولاء ؟

وأنت العمرَ تقضيه هباء

صريع الكاس أو خِلْب النساء

ابن زيدون : خسئت فان لى القِدْح المعلى

اذا خفّ الرجال الى العلاء

تأسس ملك قرطبة وقامت

دعائمه وكانت من بنائى

وناولت ابن جهور صولجانا

على جنباته تجرى دمائى

ابن عبدوس : ومن يبن الممالك لا يبالى

بهدم العرش أو هدّ اللواء

ولادة : كفى ما قلتماه فان دارى

مراح الشعر أو مغدى الغناء

تباعد نازلوها عن حوار

يجرّ الى القطيعة والعداء

ومالى والسياسة وهى بحر
أتى الموج مربدّ السماء
طغت أنواؤه فهوت بأهلى
وطاحت بالرفاق الأوفياء
(بعد صمت)
يا خليلىّ أما كان لنا
نُدْحة عن ذلك القول الهراء!

ابن زيدون : قد تحدّانى
ولادة : وماذا قال لك ؟
ابن زيدون : قال انى أصرف العمر هباء
ابن عبدوس : بل تصدّى لى
ولادة : وماذا قال لك ؟
ابن عبدوس : قال يغوينى سراب فى سماء
ولادة : وهل الدنيا سوى أخيلة
من ظلام اليأس أو نور الرجاء
وهل الأيام الاّ ساعة
ينعم القلب بها حيث يشاء
خلّيانا م الذى فات ولا
تذكرا الماضى إذا الماضى أساء
وصلا حبل التصافى واعلما
أن هذى الدار نادى الاصفياء

ابن زيدون : (فى لهجة المعاتب)
درجنا مع الودّ منذ الصبى .
وكانت رباه لنا ملعباً
وألفّنا أمنيات الشباب
زهت كوكباً وسمت مطلباً
ومرت بنا عاديات الزمان
فكنا على غدره قُرَّبا
ابن عبدوس : ومالك أنكرت منى الوفاء
وقد ذقته صافياً طيّباً ؟
ولادة : حنانيكما لاتطيلا الملام
ولا تسألا القلب من أذنبا
بدت جفوة بين نفسيكما
ومرّت كلمح شهاب خبا

وما أجمل الود بعد العتاب
وأبقى الصديق اذا اعتبا !

(تدخل عتبة وصيفة الولادة)

عتبة : سيدتى !
ولادة : ماذا جرى ؟
عتبة : رسول
ولادة : لمن ؟ وممن ذلك الرسول ؟
عتبة : من صاحب الأمر الى الوزير
ولادة : (فى حيرة) أى الوزيرين عنى الأمير ؟
ومن يكون حامل الرسالة ؟
عتبة : المكرّىّ حاكم المدينة .
ابن عبدوس : (فى لهجة المتشفى)
أحسبنى أمنيّة ابن جَهْوَر
أتأذنين لى بلقيا المكرى ؟
يا خليفة !
خليفة : أنا يا مولاى ما بين يديك
ابن عبدوس : عد الى الدار سريعاً ربما احتجت اليك
(ينصرف خليفة فى شىء من اللؤم)
إغفرى لى أنى أسأت اليكم
بحضورى فُجَاءةً وذهابى
نازعتنى اليك نفسى فأقبلت
على خلوة من الأحباب
لم أكد اقرأ التحية حتى
نالنى منكم رشاش السباب
(ينصرف ابن عبدوس غاضباً)
ابن زيدون : هل تبيّنت كيف نمت عليه
نظرة الحقد فى العيون الغضاب
وسمعت الذى يعبر عما
ينطوى فى ضميره المرتاب
شهر الحرب عامداً وتصدى
يرسل اللوم فى سياق العتاب
ثم ولىّ يقول نحن بدأنا
ه ولم نرع حرمة الآداب

يوم التـــل

للأديب فخرى أبو السعود

..... وبعد فانى مرسل اليكم قصيدة نظمتها لمناسبة ذكرى الاحتلال الانجليزى الذى يصدر عدد الرسالة القادم فى مثل يوم ابتدائه بالقاهرة — ١٥ سبتمبر — وقد اعتاد الكثير من المصريين الاستحياء لذكرى يوم التـــل الكبير لأن الهزيمة أصابتنا فيه ، والأسف لذكرى الثورة العرابية لأن الاحتلال الانجليزى أعقبها ، حتى قال شوقى بك فى بعض ما قال :

ولوان يوم التل يوم صالح ... لحماسة لجعلتـه إليادى

وقد نظمت قصيدتى قصد القضاء على توهم العار فى هذه الذكريات ، وإبراز مواضع الفخر فى تلك الحوادث والوقائع .

وأقل ما فى تلك الذكريات من مواضع الفخار أن الثورة كانت أول مظهر صحيح للقومية المصرية التى تنبهت فى العصر الحديث ، وأن موقعة التل كانت أول معركة قام فيها جيش مصرى صميم بالدفاع عن أرض مصر ، وان المصريين فيها كانوا ينازلون أكبر قوة استعمارية عرفها التاريخ ، وأن الانجليز لم يطمئنوا الى منازلة المصريين ولم يحرزوا عليهم النصر الا بعد أن استعانوا بكل حيلة

****

أعد ذكر ماضى النيل للجيل منشدا ... فما أعـذب المجد الأثيل مرددا
وكم مفخر للنيل باق مخـــلد ... اذا ذكر الأقوام فخرا مخلدا
نتيه بماضينا القـديم تفاخراً ... وأحرى بأن يروى الحديث فيحمدا
ولم أر يوم التل عارا وسبة ... ولم أره الا أغر ممجـــدا
أنخجل ان قمنا نذود عن الحمى ... ويسحب أذيال الفخار من اعتدى؟
تدفق من عبر المحيط مهدداً ... فما حفلت آباؤنا من تهددا
أبوا أن يدينوا للمغالب عن يد ... وتلقى مصر فى الحوادث مقودا
وقالوا شباة السيف دون عدونا ... وإن يك عرض البر والبحر أيدا
إباء تليد المجد قر له رضى ... وقر له عظم الفراعين ملحدا
وما شهدوا من قبلها بعد عهدهم ... بنى مصر جمعا ينهدون الى العدى

****

فلما رآى العادى سنوح فريسة ... أقام زماناً دونها مترصدا
ترامت على الثغر الأمين رجومه ... تناصب عزلا فى المدينة قعدا
أثار عليهم مائج البحر مرغياً ... وصب عليهم مارج النار مرعدا
تهاوى له الانقاض أيان يرتمى ... وتنتثر الاشلاء فى حيث سددا
تمازج لونا النار والدم عندها ... وفار لهيب النار بالدم مزبدا
ولم يألها حتى كساها غلائلا ... من النار حمرا فى السموات صعدا
ولم يثنه فى الشرق والغرب ضجة ... لأمر أقام الارض هولا وأقعدا
منى نالها ! فلتندب الأرض حسرة ... على العدل ولتبك السماء تلددا
رأت أمم فى الشرق والغرب أمة ... يجار عليها جهرة وتعمدا
تعاقب أن قامت تحطم قيدها ... وتبعث تاريخا قديما وسؤددا
وتوأد حرياتها وحقوقها ... ليحكم الاستعمار فيها معربدا

****

ولما أحال الثغر جحرا مخربا ... تقدم يبغى مستراداً ومهتـــدى
فأبصر من دون السبيل بواسلا ... جثيا على هام المسالك رقدا
تصدى اليهم كرة بعد كرة ... فأصلوه نيرانا فآب مبددا
فيا من رأى أبناء مصر اذا انبروا ... الى غول الاستعمار صفا مجردا
على حين ماجت خيله وسفينه ... ولم يبصروا فى الشرق والغرب مسعدا
يساقونه كأس الحمام وأهله ... بمصر كرام فى مراح ومغتدى
فلما رأى وعر الطريق ولم يجد ... كما ظن نهجا حيث سار معبدا
تسلل من شرق البلاد محاذرا ... هزيمته فى الغرب أن تتجددا (١)
ومال الى الأعراب والختل طبعهم ... يريد لدى القوم اللصوص مؤيدا
جرى تبره فيهم وسالت سفينه ... تمزق عهداً للقناة مؤكـــدا
وساق على الاحرار بالنل سفلة ... أتى بهم من كل فج وأعبدا
خميس يسير العار فى خطواته ... وتتبعه الأوباء فى حيثما اهتدى (٢)
كفته خيانات اللئام عـدوه ... ومابث من جند الفساد وأرصدا
ولولا جنود الاثم تدفع دونه ... لما مد رجلا للقتال ولا يدا
كذلك كانت فى السياسة حاله ... وفى الحرب لم يبلغ به النيل مقصدا
وما نال إلا بالجريمة مغنما ... ولا سل إلا فى الظلام مهندا
وأقبل يزهو بانتصار وإنه ... لخزى له يبقى على الدهر سرمدا
خصيمك أنقى فى الهزيمة صفحة ... وأكرم فى ظلم الحوادث محتدا !
وزاد عروس الشرق فى تاج ملكه ... يتيـه بها فخراً ويخطر سيدا
روبدك لا تحمد مقامك بيننـا ... ولا تحسبنه ما أقمت ممهـدا !
كما جئت فى داج من النحس قاتم ... سترجع فى داج يغشيك أسودا !
وأنحى على الأحرار يسكب مقته ... وقد كاد يسقيهم بحهلتـه الردى
ومن أحرق العذراء يوما تشفياً ... فليس بمستثن مسناً وأمردا (٣)
فأرهق بعض فى السجون مكبلا ... وفرق بعض فى البلاد مشردا

****

سلام وريحان أبوتنـا على ... ثراكم سلاما ما يزال مجـددا
سلام على من قد تصلوا بنارها ... وخاضوا لظاها فاثراً متوقدا
سلام على من مات فى حومة الوغى ... ومن مات فى قاص من الأرض مبعدا
سلام على قيل تولى زمامها ... أعف الورى قصداً وأنقاهم يدا
أصاب بهـا نجحا فلمـا كبا بها ... وأدركه منها العثار تجـلدا
وذيد عن الأوطان عشرين حجة ... يبيت على شـوق إليها مسهدا
جريرته أن رام مصر عزيزة ... وشاء لها أن تستقل وتسعدا
ورام لها من طغمة الترك معتقا ... وبعداً لعهد الترك أشأم أنكدا
لتحيا كما تحيا الشعوب طليقة ... بعصر يعاف العبد فيه التقيدا
ستذكره مصر الفتية ما ابتغت ... لدى الحق عهداً أو لدى المجد موعدا
عسى ذكرنا رغم الهزيمة أحمدا ... سيبعث فينا للغنيمة أحمدا

---

(١) اشارة الى هزيمة الانجليز أمام المصريين قرب رشيد غربى الدلتا سنه ١٨٠٧

(٢) تفشت الاوباء فى مصر عقب دخول الجيش الانجليزى

(٣) اشارة الى احراق الانجليز جان دارك محررة فرنسا من نيرهم